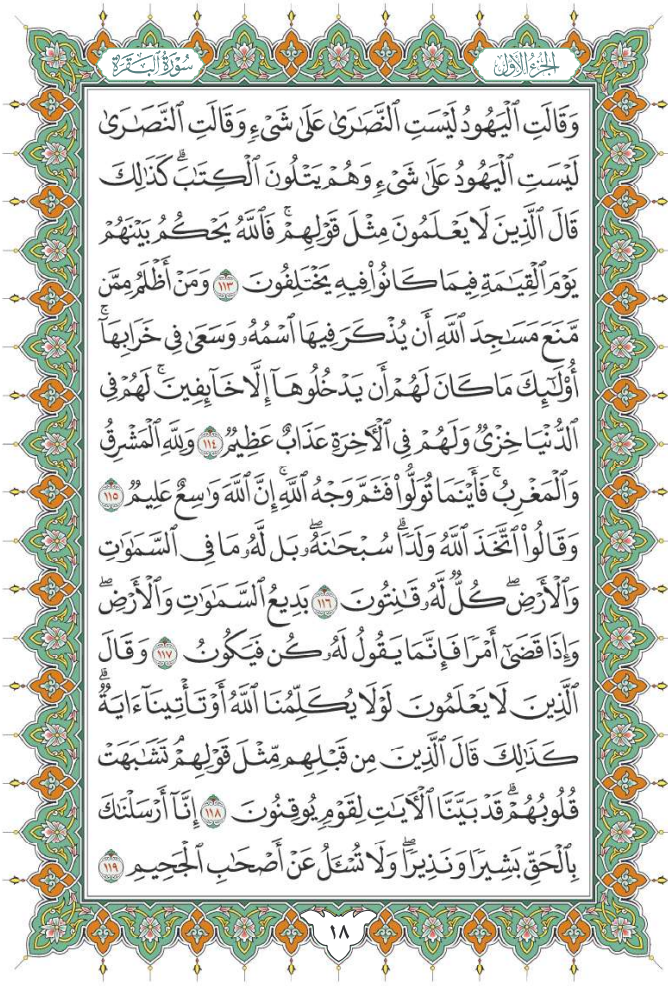

﴿١١٣﴾- ومن العجب أنّهم كما يعادون الإسلام، ويعادي بعضهم بعضًا، فيزعم اليهود أنّ النصارى ليسوا على الدّين الصّحيح، ويقول النّصارى في اليهود مثل ذلك، وكلاهما يستدلّ بأسفاره، كذلك يقول عبدة الأصنام من العرب ما يقوله كلاهما في الآخر، ولقد صدقوا جميعًا في ذلك، فليس منهم فريق على الحقّ، وسيظهر ذلك عندما يحكم الله بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

﴿١١٤﴾- ومن مظاهر عدائهم بعضهم لبعض؛ وعدائهم للمسلمين، أنّ بعض طوائفهم خرَّبت معابد الطّوائف الأخرى، وأنّ المشركين منعوا المسلمين من المسجد الحرام، وليس ثمّة ظلم أشدّ ممّن يحول دون ذكر الله في أماكن العبادة ويسعى في خرابها، فأولئك لهم ذلّ وعار في الدّنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم. وما كان لهم أن يقترفوا مثل هذا الجرم الخطير، وإنّما كان ينبغي أن يحفظوا لبيوت العبادة حرمتها، فلا يدخلوها إلا خاشعين، ولا يمنعوا غيرهم أن يذكر فيها اسم الله.

﴿١١٥﴾- إذا كان المشركون قد منعوا المسلمين من الصّلاة في المسجد الحرام، فلن يمنعهم هذا من الصّلاة وعبادة الله، فجميع الجهات وجميع البقاع في الأرض لله، وإنّ الله ليتقبّل من المسلم صلاته ويقبل عليه برضاه أيًّا كانت البقعة التي يؤدّي فيها عبادته، فالله واسع لا يضيّق على عباده، فصلّوا حيثما كنتم فإنّ الله معكم، وهو عليم بنيّة من يتوجّه إليه.

﴿١١٦﴾- فمن كان هذا شأنه، وكان جميع ما في الكون مسخرًا لأمره، خاضعًا لمشيئته، فهو أرفع وأجلّ من أن يحتاج لنسل أو يتّخذ ولدًا، تنزّه سبحانه عمّا يقول هؤلاء اليهود والنّصارى والمشركون.

﴿١١٧﴾- وكيف يحتاج لنسل أو يتّخذ ولدًا، من أبدع السّموات والأرض وأذعن كلّ ما فيهما لإرادته، فلا يستعصى عليه شيء، وإذا أراد حدوث أمر فإنّما يقول له: كن فيكون.

﴿١١٨﴾- هذا ويمعن المشركون من العرب في عنادهم لمحمّد ﷺ، فيطلبون منه أمورًا مُماثلة لما طلبته الأمم السّابقة من أنبيائهم، فقد قالوا: إنّهم لن يؤمنوا به إلا إذا كلّمهم الله وجاءتهم آية حسيّة تدلّ على صدقه، كما فعل بنو إسرائيل حين طلبوا من موسى عليه السلام أن يروا الله ويكلمهم، وكما طلب أصحاب عيسى عليه السلام أن ينزّل عليهم مائدة من السّماء، وما ذلك إلا لأنّ قلوب الكفار والمعاندين في كلّ أمّة متشابهة، وأنّه لا يستبين الحقّ إلا من صفت بصائرهم، وأذعنت عقولهم لطلب الحقّ واليقين.

﴿١١٩﴾- يا محمّد إنّا أرسلناك مؤيّدًا بحقائق يقينيّة، بشيرًا للمؤمنين ونذيرًا للكافرين، وليس عليك إلا تبليغ رسالتنا، ولن تُسأل عن الّذين يستحقّون النّار ممّن لم يؤمن بك من أصحاب الجحيم.

الآيات من 111 - 113

رأي كلّ فريق من اليهود والنّصارى في الآخرة -نسخ الأحكام-

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَالله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (١١٣): نزلت في يهود أهل المدينة ونصارى أهل نجران، وذلك أنّ وفد نجران لمّا قدموا على رسول الله ﷺ أتاهم أحبار اليهود، فتناظروا حتّى ارتفعت أصواتهم، فقالت اليهود: ما أنتم على شيء من الدّين، وكفروا بعيسى والإنجيل، وقالت لهم النّصارى: ما أنتم على شيء من الدّين، فكفروا بموسى والتّوراة، فأنزل الله تعالى هذه الآيات.

المعنى العام

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

يقول الحقّ ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ قالت اليهود: لن يدخل الجنّة إلا من كان يهوديًّا، أي على دينهم، وقالت النّصارى: لن يدخل الجنّة إلا من كان نصرانيًّا، ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ وهذه دعاوى باطلة، وأمانيّ فارغة ليس عليها بيّنة، بل مجرّد أحلامهم الكاذبة، ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ﴾ قل لهم يا محمّد: هاتوا دليلكم أنّكم مختصّون بالجنّة ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في هذه الأمنية، بل يدخلها غيركم من أهل الإسلام والإحسان، ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فإنّه من انقاد بكلّيته إلى الله وهو محسن في أفعاله واعتقاده، فعمل العمل ممتثلًا أمر الله ﷻ، ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ وهو دخول النّعيم والنّظر إلى وجهه الكريم، ﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من مكروه يتوقّع ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على فوات شيء يحتاجون إليه، لأنّهم في ضيافة الكريم تُساق إليهم المسارّ وتُدفع عنهم المضارّ.

إنّ للعمل المتقبّل شرطين: أحدهما أن يكون خالصًا لله وحده، والآخر أن يكون موافقًا للشّريعة، فمتى كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يتقبّل، ولهذا قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ﴾[1].

فعمل الرّهبان ومن شابههم وإن فُرِضَ أنّهم مخلصون فيه لله، فإنّه لا يُتقبّل منهم إلّا بعبادةٍ شرعها الله، متّبعين الرسول ﷺ المبعوث إليهم وإلى النّاس كافّة، لقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾[2]. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾[3]، وأمّا إن كان العمل موافقًا للشّريعة في الصّورة الظّاهرة، دون أن يُخلص عامله القصد لله، فهو أيضًا مردود على فاعله، وهذا حال المرائين

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن عائشة، حديث رقم: ١٧١٨، كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة وردّ محدثات الأمور.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.
(٣) سورة النور، الآية: ٣٩.

والمنافقين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[2] فلا بدّ أن يكون العمل موافقًا للشّريعة الإسلاميّة، مقرونًا بالإخلاص فيه.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

يقول تعالى إخبارًا عن مقالات اليهود والنّصارى وتقبيحًا لصنيعهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ وقالت اليهود في الردّ على النّصارى: ليست النّصارى على شيء يعتدّ به، ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ وقالت النّصارى في سبّ اليهود: ليست اليهود على شيء يعتمد عليه، ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ وهم يعلمون شريعة التّوراة والإنجيل. فاليهود يتلون التّوراة وفيها البشارة بعيسى عليه السلام، والنّصارى يتلون الإنجيل، وفيه تقرير شريعة التّوراة وصحّة نبوّة موسى عليه السلام، ولكن تجاحدوا فيما بينهم عنادًا وحسدًا، فكفرت كلّ فرقة بكتابها غضبًا وتعصّبًا، ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ مثل مقالتهم هذه، وهم المشركون أو الكافرون بجميع مللهم وطوائفهم، فقالوا: ليس المسلمون على شيء، ﴿فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيفصل بينهم يوم المعاد بقضائه العدل الذي لا جور فيه ولا ظلم، فيُدخل أهل الحقّ الجنّة وأهل الباطل النّار، تصديقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3].

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. إبطال تأثير النَّسَب في السّعادة والشّقاء، وتقرير أنّ السّعادة بدخول الجنّة مردّها إلى تزكية النّفس بالإيمان والعمل الصّالح، وأنّ الشّقاوة بدخول النّار مردّها إلى الشّرك وارتكاب الذّنوب، فلا نسبة إلى يهوديّة أو نصرانيّة أو غيرهما تُغني عن صاحبها، وإنّما المُغني بعد فضل الله ورحمته الإيمان والعمل الصّالح بعد التّخلي عن الشّرك والمعاصي.

٢. كفر اليهود هو شرّ كفر، لأنّه كان على علم.

٣. الإسلام الصّحيح القائم على أسسه الثّلاثة: الإيمان والإسلام والإحسان، هو سبيل النّجاة من النّار والفوز بالجنّة.

٤. اليهود يعتقدون أنّ النّصارى والمسلمين كفّار سيدخلون النّار خالدين فيها، ويتّهمون سيّدنا عيسى عليه السلام وسيّدنا محمّدًا ﷺ بالكذب. والنّصارى يقولون: إنّ المسلمين كفّار وسيدخلون النّار خالدين فيها، ويتّهمون سيّدنا محمّدًا بالكذب.

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٢.
(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٣) سورة الحجّ، الآية: ١٧.

٥. المسلمون يعتقدون أنّ كلًّا من سيّدنا موسى وسيّدنا عيسى عليهما السلام رسول من أفضل الرّسل ومن أولي العزم من الرّسل جاءا بدين الإسلام، وأنّ كلّ من اتّبعهما وصدّق بما جاءا به وعمل بالتّوراة الصّحيحة أو بالإنجيل الصّحيح فهو مسلم مؤمن من أهل الجنّة.

٦. اليهود حرّفوا دين سيّدنا موسى عليه السلام وحرفوا التّوراة، ثمّ إنّ اليهود حرّفوا أيضًا دين سيّدنا عيسى عليه السلام وحرّفوا الإنجيل وذلك من خلال رجل يهودي اسمه بولس زرعوه بين أتباع عيسى عليه السلام بعد رفعه إلى السّماء بسبع وثلاثين سنة، وهو من حرّف الإنجيل.

٧. العمل لا يُقبل إلا بإخلاص وبما وافق الشّرع. فلكلّ عمل شروط صحّة وشروط قبول. شروط الصّحّة ما كان موافقًا للشّريعة فيسقط عنك الفرض، وشروط القبول هي: الإخلاص في العمل ليقبل منك وتؤجر عليه. لأنّ العبادة هي فعل ما أمر الله في الوقت.

٨. لا نستطيع مطلقًا أن نحكم على أحد أنّه من أهل الجنّة أو من أهل النّار، لأنّ العبرة بالخواتيم، وهذا ما لا يطّلع عليه إلا الله تعالى.

٩. من مات على عقيدة الإسلام كان من أهل الجنّة، ومن مات على غير عقيدة الإسلام كان من أهل النّار كما نصّ على ذلك القرآن الكريم. فجميع الأنبياء جاؤوا بدين الإسلام. هذا من حيث العموم، أمّا من حيث الخصوص كتعيين أشخاص معيّنين، ومعرفة أنّهم من أهل الجنّة أو من أهل النّار، فلا يمكننا أن نحكم لأنّ العبرة بالخواتيم، والخواتيم لا يعلمها الّا الله تعالى.

فعن رسول الله ﷺ قال: «**فَوَاللهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ - أَوْ: الرَّجُلَ - يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا**»[1].

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ، لا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلا فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا اليَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثمّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثمّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثمّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**»[2].

قال ابن رجب رحمه الله تعالى في شرح الحديث: «**فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ بَاطِنَ الْأَمْرِ يَكُونُ بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَأَنَّ خَاتِمَةَ السُّوءِ تَكُونُ بِسَبَبِ دَسِيسَةٍ بَاطِنَةٍ لِلْعَبْدِ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا النَّاسُ، إِمَّا مِنْ جِهَةِ عَمَلٍ سَيِّئٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَتِلْكَ الْخَصْلَةُ الْخَفِيَّةُ تُوجِبُ سُوءَ الْخَاتِمَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ**»[3].

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود، حديث رقم: ٦٥٩٤، كتاب: القدر، باب: في القدر.

(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن سهل بن سعد الساعديّ، حديث رقم: ٢٨٩٨، كتاب: الجهاد والسير، باب: لا يقول فلان شهيد.

(٣) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم، باب: الحديث الرابع إنّ أحدكم يجمع خلقه، ج١، ص١٧٢.

نشأة الدّين المسيحيّ:

بعد وفاة سيّدنا موسى عليه السلام ، انقسم بنو إسرائيل إلى قسمين: قسم مسلم متمسّك بالتّوراة ومُتّبع للأنبياء الذين أرسلهم الله من بعد موسى ومنهم داوود وسليمان وزكريّا ويحيى عليهم السلام، وقسم وهم اليهود الذين حرّفوا التّوراة وقتلوا الأنبياء وحاربوهم، إلى أن أرسل الله تعالى سيّدنا عيسى عليه السلام نبيًّا ورسولًا إلى بني إسرائيل. وأنزل عليه الإنجيل ومصحّحًا التّوراة، فجاء بدين الإسلام، وكان يبلغ من العمر ثلاثون سنة. فما إن بُعِثَ نبيًّا ورسولًا حتّى حاول اليهود جاهدين أن يُضيّقوا عليه. وبعد مرور ثلاث سنوات، اجتمع اليهود بمجمعهم المشهور وقرّروا قتل عيسى عليه السلام . فالمجمع الماسونيّ الأكبر الذي يجتمعون به في New York الآن، يديرون فيه الماسونيّة الأكبر في العالم.

استعان اليهود بيهوذا الإسخريوطي وهو أحد أتباع عيسى عليه السلام ، فوشى به عندهم. فشعر عيسى عليه السلام بخيانة أحدهم، فقال لأصحابه: إن تركتكم فأيّ دين تنصرون؟ قالوا: الإسلام. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1]، فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام ، أنّي رافعك إليّ بالرّوح والجسد، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[2].

وفيما صحّ عَنِ ابن عبّاس رضي الله عنهما، أنّه قَالَ: "لَمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَى عليه السلام إِلَى السَّمَاءِ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ غير الْبَيْتِ وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً، فَقَالَ لَهُمْ: أَمَا إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ سَيَكْفُرُ بِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِي، ثمّ قَالَ: أَيُّكُمْ سَيُلْقَى عَلَيْهِ شَبَهِي فَيُقْتَلَ مَكَانِي وَيَكُونُ مَعِي فِي دَرَجَتِي؟ فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ عِيسَى: اجْلِسْ، ثمّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ الشَّابُّ، فَقَالَ عِيسَى: اجْلِسْ، ثمّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ الشَّابُّ، فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: نَعَمْ أَنْتَ ذَاكَ، قَالَ: فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُ عِيسَى.

قَالَ : وَرُفِعَ عِيسَى عليه السلام مِنْ رَوْزَنَةٍ كَانَتْ فِي الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: وَجَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ فَأَخَذُوا الشَّبِيهَ فَقَتَلُوهُ، ثمّ صَلَبُوهُ، وَكَفَرَ بِهِ بَعْضُهُمَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِهِ، فَتَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ، قَالَ: فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا اللهُ مَا شَاءَ، ثمّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ، وَهَؤُلَاءِ الْيَعْقُوبِيَّةُ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا ابن اللهِ، ثمّ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ النَّسْطُورِيَّةُ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ اللهُ، ثمّ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ.

فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ فَقَاتَلُوهَا فَقَتَلُوهَا، فَلَمْ يَزَلِ الإِسْلَامُ طَامِسًا حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ: ﴿فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، يَعْنِي الطَّائِفَةَ الَّتِي آمَنَتْ فِي زَمَنِ عِيسَى ﴿وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾، يَعْنِي الطَّائِفَةَ الَّتِي كَفَرَتْ فِي زَمَنِ عِيسَى ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فِي زَمَنِ عِيسَى ﴿عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾ بِإِظْهَارِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم دِينَهُمْ عَلَى دِينِ الْكُفَّارِ ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[3]."[4] رُفِعَ عيسى عليه السلام على مرأى من أصحابه بالرّوح والجسد إلى السّماء الثّانية.

اعلم أنّ الله تعالى قادر على أن يُلقي شبه عيسى بمعدّل١٠٠٪، ولكنّ الشّبه كان ٩٠٪، لحكمةٍ ستظهر لاحقًا.

بعد أن صلب اليهود شبه عيسى عليه السلام وهم شاكّون وغير مُتيقنين من أنّه عيسى عليه السلام ، ذكر تعالى هذا الأمر في كتابه الكريم فقال ﷻ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا *وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[5]؛ ذلك أنّ بعضهم قال إنّه قُتِل فقط ولم يُصلب، وآخرين

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٢. (٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٥. (٣) سورة الصف، الآية: ١٤.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٣١٨٧٦، كتاب: الفضائل، باب: ما ذكر فيما فضل به عيسى عليه السلام .

(٥) سورة النساء، الآيات: ١٥٥ – ١٥٨.

قالوا إنّه صُلِب فقط، ومنهم من قال إنّه قُتِل وصُلب، فالقرآن الكريم أوضح ذلك بالدّليل القاطع ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾.

واعلم أنّ الحكمة في هذا، أنّ أصحاب عيسى عليه السلام من الحواريّين أخبروا النّاس أنّ عيسى عليه السلام رُفِع إلى السّماء، وأنّ هذا المقتول ليس عيسى عليه السلام ولكنّه الشّبيه. وكان الدّليل على ذلك بالنّظر إليه والتّدقيق، فانطلق أصحاب عيسى عليه السلام الصّادقين الصّالحين بعد ذلك يدعون إلى دين الله تعالى، دين الإسلام.

ظلّ اليهود يقاتلون ويحاربون المسلمين من أتباع عيسى عليه السلام بكلّ الطّرق والوسائل. وبقي الأمر كذلك زُهاء خمسة وثلاثين عامًا بعد رفع عيسى عليه السلام يعني تقريبًا حتّى سبعين ميلاديّة، إلى أن ظهر رجل يُسمّى بولس، قويّ الشّخصيّة دائب الحركة، مؤثّرًا ذكيًّا، وكان يهوديًّا متعصّبًا ليهوديّته، وكان يسيء إلى أتباع عيسى عليه السلام باستمرار، بل وقد قتل جمعًا منهم، مع أنّه لم يرَ عيسى عليه السلام في حياته، ولم يكن من أبناء جيله أصلًا. وقد استطاع بمكره وكيده أن يحرّف كثيرًا من تعاليم المسيح، وأن يطمس معالمها الصّحيحة.

فلمّا رأى أنّ اضطهاده للمسلمين من أتباع عيسى عليه السلام لا يجدي، احتال بالدّخول في دينهم، وأظهر لهم الاعتقاد بعيسى والنّدامة ممّا كان صنع، ووضع على رأسه التراب، وقال: نوديت من السّماء: ليست لك توبة إلّا أن تتنصّر وقد تُبت، فأدخله النّصارى الكنيسة ومكث سنة لا يخرج، وتعلّم الإنجيل، فصدّقوه وأحبّوه، واستطاع أن يجعل النّصارى يتحللون من واجبات النّاموس (التّوراة) الذي جاء المسيح لإبطال أحكامه.

ثمّ قال لهم: إنّ عيسى عليه السلام قد جاءني في المنام وعاتبني في أنّي أُعذّب أصحابه وأتباعه، فاعتذرت له واستغفرت، فقبِلَ ذلك منّي، وسمّاني الرّسول من بعده، وعلّمني الإنجيل، أي في المنام. فصدّقه بعض سِخاف العقول من النّاس، وقالوا إنّ هذا شيءٌ عظيم، ومعجزة...

أمّا المسلمون الحقيقيّون فقالوا: البارحة كنت يهوديًّا تقاتلنا، واليوم تبت فنقبل منك التّوبة، أمّا أن تأتي بما يخالف دين عيسى عليه السلام جملة وتفصيلًا فأنت منافق تحاول أن تُحرّف عقيدتنا.

وكان بولس قد سمّى نفسه وأتباعه بالطّائفة المسيحيّة، ولم يكن هناك شيء اسمه دين المسيحيّة؛ لأنّ عيسى عليه السلام جاء بالإسلام، وأتباعه مسلمون كما ينصّ القرآن الكريم.

وقد حاول اليهود أن يُسمّوا المسلمين بالمحمّديّين، ولكنّ محاولتهم باءت بالفشل. لأنّ الدّين ليس مرتبطًا بشخص، فالدّين عند الله الإسلام، مشتقّ من اسمه السّلام، وليس باسم نبيّ من أنبيائه.

وبعد أن سقطت الخلافة الإسلاميّة، حاول أعداء الإسلام أن يدسّوا في كتب التّاريخ، بعض العناوين مثال: اليهوديّة والمسيحيّة والمحمّديّة... ولكنّ الحقّ أنّ الدين واحد من عند ربٍّ واحد: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[1].

بعد أن رفع تعالى المسيح إلى السّماء، تعرّض الموحّدون من أتباع عيسى عليه السلام لاضطهادات شديدة استمرّت نحو ثلاثة قرون، كانوا فيها يفرّون بدينهم ويختفون وتحرق كتبهم، حتّى صار أصل العقيدة معرضًا لمنازع مختلفة، ولكنّ التّوحيد ظلّ السائد الغالب، وما إن رُفع الاضطهاد عنهم، حتّى تعرّضوا لفتنة أشدّ من الأذى البدنيّ، فتعرّضوا لأذىً في العقيدة ذاتها، وهو أشدّ وأنكى، إذ أُدخلت الوثنيّة في النّصرانيّة بتأثير قسطنطين ملك الرّومان.

فقد بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان فجمع البطارقة والأساقفة، واجتمع في مدينة نيقية ألفين وثمانية وأربعين أسقفًا، وكانوا مختلفي الآراء والأديان، واتّفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا ، كان يقول بأنّ المسيح ابن الله، وأنّه مساوٍ له في الجوهر، وأنّه نزل من السّماء وتجسّد من روح القدس، وصار إنسانًا، وحمل به، ثمّ ولد من مريم، وقتل وصلب،

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

ودفن، وقام في اليوم الثّالث، وصعد إلى السّماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعدّ للمجيء مرة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، وهي مقالة بولس الرّسول، وأمّا دعوة أريوس فكانت البقاء على الوحدانيّة، وكانت منتشرة فكان السّائد عند الكثيرين إنكار ألوهيّة المسيح، وقد كانت كنيسة أسيوط على هذا الرأي، وكان الرّأي الأصيل رأي أريوس مشايعون في فلسطين ومقدونية والقسطنطينيّة.

ولكن أُريدَ تحويل المسيحيّة من التّوحيد إلى الوثنيّة قبل أن يدخل فيها قسطنطين، لذا انتقل للرّأي الذي يتّفق معه وهو ألوهيّة المسيح.

قسطنطين لم يكن مهتمًا بالمسائل اللاهوتية بقدر ما كان معنيًا بالحفاظ على وحدة الإمبراطورية. كان حريصًا على توحيد الإمبراطوريّة الرومانيّة، واعتبر الانقسامات الدينيّة خطرًا على الاستقرار السياسيّ.

دعمه لقرار المجمع ضد الأريوسيّة كان بهدف إنهاء الخلاف وتعزيز الاستقرار الدينيّ والسياسيّ.

فأعلن موافقته على رأي ثمانة عشر وثلاث مائة أسقفًا، وأعلنوا الألوهيّة، وعلى رأسهم أسقف الإسكندريّة، ودخل قسطنطين في المسيحيّة من بعد قرارهم، وقالوا: نؤمن بروح القدس، وأجبر الملك النّاس على هذه العقيدة التي أسّسها هؤلاء الأساقفة. واضّطهد من عداهم، وقامت منازعات بين الوحدانيّة والوثنيّة، حتّى اختفت أصوات الوحدانيّة في الأوساط النّصرانيّة.

وقد استنكر أكثر المسيحيّين ما قرّره مجمع نيقية، ولذلك انعقد فوره مجمع (صور) ورفض دعوى ألوهيّة المسيح بالإجماع، ولكن استخدمت القوّة والإرهاب لتشتيت المجتمعين، وأخذت القوّة تعلن الألوهيّة، وتخفي الوحدانيّة. ويُلاحظ في هذا المجمع الّذي عُقد آخر عام ٣٨١م، وحضره مائة وخمسون أسقفًا، وما كان هذا ليمثّل النّصارى أجمعين، ولكن فُرض رأي أولئك الذين سمّوهم أساقفة على النّصارى جميعًا، فأجمعوا فيه على أنّ روح القدس خالق غير مخلوق، وتقرّرت ألوهيّة روح القدس. رفض آريوس وأتباعه عقيدة التّثليث: الأب والابن والرّوح القدُس، وأنكر ألوهيّة المسيح وأكّد أنّه مخلوق، ولكن ما زالوا يعذبونهم، ويطردونهم حتّى أسكتوا كلّ صوت يخالفهم.

لقد كان ذلك المجمع كسابقه مفاجأة لعامّة النّصارى؛ لأنّ عيسى ليس بإله عندهم، وفُرض ذلك الرّأي بقوّة السّلطان، كما فرض الرّأي الأوّل الخاصّ بألوهيّة المسيح بقوّة السّلطان.

وبهذا المجمع تمّ لهم التّثليث، وقالوا: بأنّ الأب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم، وفرض ملوك النّصارى هذه العقيدة على النّاس. وهذا التّثليث هو بذاته اعتقاد الأفلاطونيّة الحديثة، اختاره قسطنطين، ومن تبعه دينًا لهم.

ثمّ عقد مجمع سنة ٤٣١ م، وحضره نحو مائتيّ أسقف، وقرّروا أنّ مريم ولدت إلهًا.

والحقيقة أنّ فكرة ألوهيّة المسيح عليه السلام ما سادت الفكر النّصرانيّ إلا في عهد قسطنطين، وقبل ذلك كان الأكثرون موحّدين، ولكن وُجد بجوارهم من بقايا الفلسفة الأفلاطونيّة الحديثة من زعم أنّ القوى المسيطرة على الوجود ثلاثة. ولم تُعرف الأناجيل الأربعة المتّفق عليها عند النّصارى اليوم المعرفة الكاملة قبل مجمع نيقية (٣٢٥م)، ولم تجئ هذه الانحرافات كلّها دفعة واحدة، ولكنّها دخلت على فترات؛ وأضافتها المجامع واحدة بعد الأخرى، حتّى انتهت إلى هذا الخليط العجيب من التّصورات والأساطير، الذي تحار فيه العقول.

واستمرّت المجامع تعقد بعد ذلك، وأشهرها المجامع العشرة التي عُقدت على مرّ العصور، وكلّهم يكفّر بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا، فثبت بهذا الاستعراض أنّ دين عيسى عليه السلام هو التّوحيد إلى نهاية القرن الثّالث الميلادي، وأنّ

المجامع النّصرانية هي التي فرضت عقيدة التّثليث، وألزم الملوك النّاس بذلك بالسّيف والعطاء.

وقد أملى بولس إنجيل لوقا، وكان من أتباعه، وهو أحد الأناجيل الأربعة، يقول لوقا في إنجيله مادحًا بولس الرّسول: وكان بولس أوّل من قال إنّ المسيح هو ابن الله. فلا شكّ في أنّ بولس يهوديّ الأصل، أحبّ أن يحارب أتباع عيسى عليه السلام من صميم عقيدتهم. لذا سمّاهم الله تعالى الضّالين، لأنّ اليهود حرّفوا دينهم فأضلّوهم.

أمّا المغضوب عليهم فهم اليهود، لأنّهم عرفوا الحقّ ولم يتّبعوه، بل ما زالوا يحاولون جاهدين على مرّ الزّمان تحريف الكلم عن مواضعه، وإضلال النّاس، وإقصاء المسلمين عن دينهم الحقّ كي لا ينصرهم الله، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1].

وبقي الأمر على ما هو عليه بوجود ثلاث طوائف في المجتمع: مسلمين، مسيحيين، ويهود.

المسلمون: هم الحواريّون أتباع عيسى عليه السلام الحقيقيّين.

المسيحيّون: هم أتباع بولس.

اليهود: هم الذين عبدوا العجل من دون الله.

فإذا سألنا النّصارى اليوم- وهم يعترفون بمجمع نيقية- كيف تقبلون أن يحكم قسطنطين الوثنيّ، وقد حكم بقول الأقلّيات؟

فيجيبون: أنّ روح القدس رفرف فوق قسطنطين وألهمه الجواب؛ لذلك عرف الإجابة.

وبعد مجمع نيقية فرّ المسلمون من أتباع عيسى عليه السلام بدينهم إلى الصّحراء، فأطلقوا عليهم اسم رهبان، زاعمين أنّهم غادروا إلى الصحراء رهبنةً، ولكنّ الحقيقة أنّ هؤلاء فرّوا بدينهم رهبة من التّنكيل بهم.

ولا بدّ من التّذكير بأنّ عامّة النّاس الذين عاشوا في المدّة ما بين مجمع نيقية وبعثة النّبيّ ﷺ والتي تقدّر بحوالي ثلاث مائة سنة، يُطلق عليهم اسم أهل الفترة، فهؤلاء لا يُحاسب أحدهم على دينه، لأنّه لا دين حقّ يتّبعوه، بل يُحاسب كلٌّ على أعماله وِفق أعرافهم شرط عدم الشرك بالله. بالطبع نحن لا نتكلّم عن القساوسة والرّهبان، الذين كانوا سبب ضياع الدّين الصّحيح.

ويذكر أنّ النّجاشيّ وورقة بن نوفل وبحيرة الرّاهب وغيرهم، كانوا من البقيّة الباقية من المسلمين على دين عيسى عليه السلام.

فالنّجاشيّ لم يُمسك صليبًا في حياته، ومن الخطأ التّاريخيّ في حقّه أنّهم صوّروه في فيلم الرّسالة وهو يمسك صليبًا، بل كان على دين الإسلام. لذا عندما دعاه النّبيّ ﷺ إلى الإسلام، آمن به.

وقد أرسل النّبيّ ﷺ برسائله إلى الملوك، ومنهم هرقل، فقال: ((مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ))[2]... ثمّ اطّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الفَلاحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ، فَتُبَايِعُوا هَذَا النّبيّ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ، وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ، قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ، فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ"[3][4]. والظّاهر أنّه أراد أن يُسلِم، لكنّه خشيَ على دنياه ومُلْكِهِ فآثر دنياه على أخراه والله أعلم.

فالنّبيّ ﷺ ذكّر هِرقل بمجمع نيقية، وما آل إليه المسلمون من أتباع آريوس بسبب الملك قسطنطين، الذي حارب دين عيسى عليه السلام فأخرج عقيدتهم النّاصعة من التّوحيد إلى الوثنيّة، وحذّره من إثم من قتل آريوس وأتباعه.

---

(١) سورة محمّد، الآية: ٧.

(٢) وقيل: الفلاحين، والآريسيّون نسبةً إلى آريوس.

(٣) رواه البخاريّ في صحيحه، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٧، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

(٤) والآريسيّون نسبةً إلى آريوس.

في الأمر والنّهي

١. تقوية الشعور بمراقبة الله تعالى ليحسن العبد نيّته وعمله.
٢. أن تكون العبادات بنيّة خالصة لله تعالى لا سمعة فيها ولا رياء.

التوجيهات:

- الحكم على الآخرين بالضّلال وسوء الخاتمة لا بدّ له من أدلّة صحيحة، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾.
- الحذر كلّ الحذر من التألّي على الله تعالى، فلا تحكم على أحد بجنّة أو نار ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[١]. والعبرة بالخواتيم وهذا ما لا يعلمه إلّا الله.

إن الله تعالى على كلّ شيء قدير، وفعّال لما يريد، ويتوب على عبده إن شاء، حتّى لو بلغ عمره أكثر من مئة عام وهو على المعصية، ما لم تغرغر روحه. بل ويغفر لمن يشاء من عباده ولو من غير توبة، وبيان ذلك أن الله تعالى رحمته وسعت كلّ شيء، ومهما فعل العبد من الذّنوب والمعاصي فإنّ رحمة الله واسعة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣]، وقوله: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كانَ رَجُلان في بني إسرائيلَ مُتواخيَين، فكان أحدُهما يُذنبُ والآخرُ مجتهدٌ في العبادة، فكان لا يزالُ المجتهدُ يرى الأخرَ على الذّنب، فيقول: أقصِرْ، فوَجَدَه يومًا على ذنبٍ، فقال له: أقصِرْ، فقال: خلِّني وربّي، أبُعِثتَ عليَّ رقيبًا؟ فقال: والله لا يَغفِرُ اللهُ لكَ -أو لا يُدخِلُكَ اللهُ الجنّةَ- فقَبَضَ أرواحَهما، فاجتمعَا عند ربِّ العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكُنتَ بي عالمًا؟ أو كنتَ على ما في يدي قادِرًا؟ وقال للمُذنِب: اذهب فادخُلِ الجنّةَ برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النّار" قال أبو هريرة: والذي نفسي بيدِه لتكلَّمَ بكلمةٍ أوبقَت دُنياه وآخرَتَه»[٥].

وفي لفظ عند مسلم: قال حَدَّثَ رسول الله ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»[٦] أَوْ كَمَا قَالَ.

وكَانَ الرَّجُلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا بَلَغَ الْمَبْلَغَ فَمَشَى فِي النَّاسِ تُظِلُّهُ غَمَامَةٌ قَالَ: "فَمَرَّ رَجُلٌ قَدْ أَظَلَّتْهُ غَمَامَةٌ عَلَى رَجُلٍ فَأَعْظَمَهُ ذَلِكَ؛ لِمَا رَأَى مِمَّا آتَاهُ اللهُ تعالى قَالَ: فَاحْتَقَرَهُ صَاحِبُ الْغَمَامَةِ أَوْ قَالَ كَلِمَةً نَحْوَهَا قَالَ: فَأُمِرَتْ أَنْ تُحَوَّلَ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى رَأْسِ الَّذِي عَظَّمَ أَمْرَ اللهِ تَعَالَى"[٧].

في السّيرة والشّمائل

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٧. (٢) سورة النجم، الآية: ٣٢. (٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤. (٤) سورة العنكبوت، الآية: ٢١.
(٥) رواه أبو داود في سننه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٤٩٠١، كتاب: أول كتاب الأدب، باب: النهي عن البغي، الحديث إسناده حسن.
(٦) رواه مسلم في صحيحه، عن جندب، حديث رقم: ٢٦٢١، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى.
(٧) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، عن بكر بن عبد الله المُزني، كتاب: الطبقة الأولى من التابعين، باب: بكر بن عبد الله المزني.

في السّلوك

الإشارة: إذا كانت معاداة الملائكة والرّسل هي معاداة الله، فكذلك معاداةُ أوليائه هي معاداة الله أيضًا؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ»[1]. فالبعض هو الكلّ، ويؤخذ بالمفهوم أنّ محبّة الملائكة والرّسل هي محبّة الله، وكذلك محبّة أولياء الله هي محبّة الله، وكذلك أيضًا محبّة عباد الله هي محبّة الله، ومعاداتهم معاداة الله؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ، فَأَحَبُّ الخَلْقِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ»[2]. وكلّ مَن ادّعى أنّه يحبّ الله وفي قلبه عداوة لمسلم فهو كاذب، وكلّ مَن ادّعى أنّه يعرف الله وفي قلبه إنكار على مخلوق فهو في دعواه أيضًا كاذب، فالواجب على العبد أن يُحبّ جميع العباد، من كان طائعًا فظاهر، ومَن كان عاصيًا أحبّ له التّوبة والإنابة، ومَن كان كافرًا أحبّ له الإسلام والهداية، ولا يكره من العبد إلّا فعله. وفي الحديث: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[3] فتكون مستسلمًا بظاهرك، مشاهدًا بسرائرك، في الظّاهر جهد وسجود، وفي الباطن كشف ووجود. يعني أن تكون خاضعًا لله في أعمالك الظاهرة، مثل: الصّلاة، الصيام، والعبادات البدنية، وهذه العبادة تؤدّي إلى كشف الحقائق الإلهيّة والشعور بعظمة الله تعالى.

ويقال: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ بالتزام الطّاعات، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ قائمٌ بآداب الخدمة بحسن آداب الحضور، فهؤلاء ليس عليهم خوف الهجر، ولا يلحقهم خفيُّ المكر، فلا الدّنيا تشغلهم عن المشاهدة ولا الآخرة تشغلهم غدًا عن الرّؤية.

الإشارة: كلّ ما قصّه الحقّ تعالى علينا من مساوئ غيرنا فالمقصود به التّنفير والتّحذير من مثل ما ارتكبوه، والتّخلق بضدّ ما فعلوه، فكلّ من تراه ينقص النّاس ويصغّرهم فهو أصغرهم، وكلّ من تراه يقول: أصحاب سيّدي فلان ليسوا على شيء، وأصحاب سيّدي فلان ليس عندهم شيء، فليس هو على شيء، وقد ابتلي بعض المتصوّفة بهذا الوصف الذّميم، ينصب الميزان على النّاس، فيسقط قومًا ويرفع آخرين، وهو يتلو كتاب الله، ويسمع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾[4] الآية.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

عَنْ ابن عبّاس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُول الله ﷺ كانَ يقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وبِكَ آمنْتُ، وعليكَ توَكَّلْتُ، وإِلَيكَ أَنَبْتُ، وبِكَ خاصَمْتُ. اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الحَيُّ الَّذي لا تمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يمُوتُون»[5].

---

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٦٥٠٢، كتاب: الرقاق، باب: التواضع.

(٢) رواه الطّبرانيّ في المعجم الكبير، عن عبد الله بن مسعود، حديث رقم: ١٠٠٣٣، كتاب: العين، باب: من روى عن ابن مسعود أنه لم يكن مع النّبيّ ﷺ ليلة الجن.

(٣) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٤٧٧٧، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿إِنَّ الله عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٢٧١٧، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوّذ من شرّ ما عمل ومن شرّ ما لم يعمل.